— لماذا يسميك عبد العاطي ؟

— لانه لم يسمع اسمي .

— لا . انه يتمسخر على الولي ، هذا الكافر .

— ربما . عندنا في الطيرة حين يموت عزيز ، حين يموت اب او جد او اخ ، نعطي الوليد الجديد اسمه ، وابو قيس من الطيرة كما سمعته يقول :

— وما علاقة هذا بذاك ؟

— لا شيء . ظننت ذلك . .

وامتد الصمت مرة اخرى بيننا . هذه المرة مثل جسر ، وليس مثل هوة ، كان حمدان محتارا قليلا ، ولكنه كان عازما على سبر غور ذلك الموقف المعقد الذي اقحم نفسه فيه، فقال :

— « هل تعتزمان حقا تخريب قبر الولي وشجرته ؟ »

وفجأة اخذت كفاي تنضحان عرقا ، ولاول مرة في حياتي لاحظت ان العرق يملأ راحتي يدي كلما تحدثت أو تحدث احد امامي عن ولي . لعله التوتر . لعله انبثاق أمل هش ليس بالوسع امساكه باليد . لعلها الخيبة المحزنة . اخذت افرك راحتي يدي على صدري ، وقال حمدان :

— « ان ليس من اجلك ومن اجل الناس فمن اجل المرحومة امك ، هذه المرأة الصالحة التي عرفت قبور جميع الاولياء . من أجلها انس تلك الفكرة الحمقاء ، ما الذي تستفيده من تخريب قبر الولي وشجرته ؟ ثم ان الشرطة . . . »

— « لقد عرفت المرحومة امي قبور كل الاولياء . صحيح ، ولكنها لم تعرف فيها الا الخيبة . . »

— « ومع ذلك لم تفقد ايمانها ، انت قلت لي . قلت لي انها كانت تحملك على كتفيها وتمشي ، وكانت . . »

وكنت انا اقيس المسافة بتلمس العرق الذي كان يتفصد من جبهتها المجهدة ، واحيانا كانت تتملق كفاي الصغيرتان فاحس وجهها كله ينضح بالعرق وبالدموع معا ، لو كان البؤس بذارا لنبت في شقوق وجهها شوكه الضاري من فرط ما سقتها بالعرق وبالدموع، ولكنها لم تفقد ايمانها ، هذا صحيح ، لم تفقد ايمانها ، وماتت فيه ، وها هو ذا بالنسبة لي يموت معها .

رفعت راحتي يدي في وجه حمدان ، وكانتا ما تزالان تنضحان عرقا :

— « اسمع يا حمدان . أتعرف لماذا تمتلىء راحتا يدي بالعرق كلما جاءت سيرة ولي ؟ الان عرفت ، وكنت اجهل ذلك من قبل . وسأقول لك : لان هذا العرق هو العرق الذي سقاهما من جبهة امي ، سنة وراء سنة وميلا وراء ميل في طرق لا نهاية لها . كلما كانوا يقولون لها : « هناك قبر ولي » كانت تحملني ، وكنت اتعلق بالعرق المنساح على وجهها ذهابا وبالدموع البائسة الكسيحة ونحن في طريق الاياب . ها هما كفاي ينضحان ذلك العرق كلما سمعت اسم ولي . ذلك هو كل ما اورثته لي امي المرحومة » .

الا ان حمدان لم يكن يكترث . كان كل ما يهمه هو ان يعرف فيما اذا كنا ننوي حقا هدم قبر الولي وقطع شجرته ، فعاد يسأل :

— هل ستذهب مع ذلك الاطرش الكريه ؟

ولكنني لم اكن لاعرف ، لقد عرفت فقط ان شيئا ما في داخلي ، مثل جسر يستند عليه